العدد ٨٩٣ — ١٤ أغسطس سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة

الرسالة والرواية

فهرس العدد

جامعة فؤاد الأول ... ... : للاستاذ محمد محمود زيتون ٩٠٨

عهد ... ... : لصاحب العزة محمد محمود جلال بك ٩١٢

المغول فى مصر وقوانينهم ... ... : للاستاذ أحمد بك رمزى ٩١٣

المذبون ... ... : » على محمد سرطاوى ٩١٦

التذوق الأدبى ... ... : » محمود عبد العزيز محرم ٩١٨

حول البردة ... ... : » محمد سيد كيلانى ٩٢١

أنا .. والبحر ... ... : » صبحى ابراهيم صالح ٩٢٥

الروح المعنوية ... ... : » محمد عبد الله السمان ٩٢٨

مأساة حيفا ... ... : » ... ... (أمير) ٩٢٩

عبقرية الفن (قصيدة) ..... : » أنور العطار ٩٣١

(الأدب والفن فى أسبوع) — فلم (الوعد الحق) — بين الدكتور زكى مبارك وسكرتير تحرير الرسالة ٩٣٤

(البريد الأدبى) — حول الأزهر : اقتراح — إلى الأستاذ أبو رية ٩٣٦

٣٥٠١٣

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

me; 18 année No 893

LeCaire - 14— 8 — 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٩٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ شوال سنة ١٣٦٩ — ١٤ أغسطس سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

جامعة فؤاد الأول

مواكب التاريخ فى احتفالها بيوم اليوبيل الفضى

للاستاذ محمد محمود زيتون

يحق لكل مصرى أن يفاخر اليوم بتاريخ أول جامعة مصرية انبثقت فكرتها فى غمرة من الأحداث العاصفة، وأخذت تشق طريقها إلى الوجود بفضل ائتلاف عناصر الأمة، وبرغم أنف المستعمرين الذين جثموا على صدر الوادى، وكتموا أنفاسه بكابوس الاحتلال البغيض.

ولقد كان مصطفى كامل أسبق المواطنين إلى فكرة الجامعة إذ كتب فى (اللواء) بتاريخ ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٠٤ يقول « مما لا يرتاب فيه إنسان أن الأمة المصرية أدركت فى هذا الزمان حقيقة المركز الذى يجب أن يكون لها بين الأمم، وأبلغ الأدلة على ذلك نهضتها فى مسألة التعليم، وقيام عظمائها وكبرائها وأغنيائها بفتح المدارس، وتأسيس دور للعلم بأموالهم وبمجهوداتهم، ولكن قد آن لهم أن يفكروا فى الوقت الحاضر فى عمل جديد، الأمة فى أشد الحاجة إليه، ألا وهو إنشاء جامعة للأمة بأموال الأمة »

وانتهز مصطفى كامل مناسبة مرور مائة عام على تولية عاهل مصر محمد على الكبير عرش البلاد (منذ ١٣ مايو سنة ١٨٠٥) فاقترح فى اللواء بتاريخ ٨ يناير سنة ١٩٠٥ أن تسمى الجامعة « كلية محمد على » تخليداً لذكرى باعث النهضة المصرية.

أخذت دعوة مصطفى كامل تلوح من جديد فى جو كله غيوم، غير أن روعة الفكرة، ونبالة القصد، والإيمان بالعزة والكرامة، كل ذلك جعل الأمير حيدر فاضل يحيذ الفكرة ويستنهض لها الهمم العوالى، كما أثار الأستاذ أحمد حافظ عوض على صفحات (المؤيد) مناظرة صحافية موضوعها « أى أنفع للقطر المصرى فى حالته الحاضرة: الكتاتيب أم مدرسة كلية عالية » وتوالت الآراء على هذه المناظرة بين التأييد والمعارضة.

ومما هو جدير بالذكر أن فكرة الاستعاضة بالكتاتيب عن الجامعة، كان مصدرها اللورد كرومر المعتمد البريطانى فى مصر الذى حنق على مصر وأهلها منذ بدت فى الأفق الشرق طلائع النهضة المصرية المستنيرة، فتمكن من دفع سراة البلد إلى إنشاء المدارس الأولية والإكثار من الكتاتيب فى القرى بحجة أن الأمة أحوج إلى هذا النوع من التعليم منها إلى التعليم العالى، وظنا منا أنه بذلك يناهض الجامعة، ويقضى عليها وهى لا تزال فى مهدها

وغلب على وهم عميد الاحتلال أنه يتمتع بتأييد « أصحاب

الجلابيب الزرقاء » ، ولـكن سرعان ما تبدد هذا الادعاء المصطنع على أثر حادثة دنشواى سنة ١٩٠٦ ، تلك الحادثة التي وجد منها مصطفى كامل مادة غزيرة يورى بها زناد جهاده في الأوساط الأوروبية ، ضد الاحتلال في مصر ، فاستطاع الرأى العالمى أن يقف على حقيقة الاحتلال كما يعرضها زعيم الشباب كاتبا وخطيبا من غير تزويق أو تحامل وحسبه أن يعبر في صدق عما يختلج في نفوس المواطنين من بغض لشراذم البغى والعدوان الذين يتجرون بالشعوب على مسرح السياسة .

وبدأ النفوذ البريطاني يتزعزع ، وظله يتقلص في غير إبطاء تحت هذه الضربات القوية التي يسددها فتى النيل المجاهد سهاما من نار ، حتى إن السياسة الانجليزية قد أدركت هذه الحقيقة مجسمة بحيث لا تقبل التحوير والتأويل مما دعا إلى ابتداع لون جديد لمعاملة المصريين بالحسنى ، على أساس التوسع في سلطة الوزراء ، وفك الأغلال شيئا ما ، حتى يقال فيما يقال ، إن الانجليز يأخذون بيد الشعوب تدريجيا إلى أن تحكم نفسها بنفسها .

وما كانت هذه البدعة الانجليزية لتجعل المصريين ينسون جراحات الأمس القريب ، ولا لتصرفهم عن هامات دنشواى التي تصيح حول المشانق في كل صبح ومساء : اسقونى اسقونى ، بل كانت أصداء مصطفى كامل تجيش بها نفوسهم ، وتخفق افئدتهم فأخذت الحيوية تدب في المصريين ، فتألفت لجنة لتكريم هذا الشاب الذي رفع لواء مصر خفاقا في المحافل الأوروبية ، منددا بالاستعمار وأصحابه ، والاحتلال وأسبابه ، واجتمع الرأى على تقديم هدية له في حفل كبير ، لقاء ما أدى للوطن من عمـــل يذكر فيشكر .

وعلم بذلك مصطفى كامل ، فبادر بالكتابة إلى زميله محمد فريد بتاريخ ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٠٦ ، وفي هذا الخطاب الفعم بالوطنية الصادقة ، يعتذر عن إقامة هذا الحفل ، شاكرا للجنة صنيعها ، وتقديرها لجهوده في رفع لواء الوطن الذي يتآمر عليه أعداؤه في حين «أننا نطلب الحياة والدستور والحرية والعقل والروية ، ونسعى إلى إسعاد وطننا بالعلم والجهاد القانوني» ويستطرد قائلا:

فخير هدية أقترح عليكم تقديمها للوطن العزيز ، والأمة المصرية المحبوبة هى أن تقوم اللجنة التي شكلت بدعوة الأمة كلهـا ، وطرق باب كل مصرى لتأسيس كلية أهلية تجمع أبناء الفقراء والأغنياء على السواء ، وتهب الأمة الرجال الأشداء الذين يكثرون في عداد خدامها المخلصين ممن لا يخافون في الحق لوما ولا عتابا ويعملون لمداواة أدوائها ، وجمع أمرها وبث روح الوطنية العالية في كافة أبنائها . . »

ويمضى الخطاب على هذا النحو يهدر بالوطنية ، ويزخر بالاخلاص ، ويجيش بالايمان ، حتى يرسو على شاطىء المعرفة التي هى دعامة الإصلاح وبداية الاستقلال .

وفي الحق أن هذه الدعوة لقيت صيتا عجيبا ، فقد هزت الاريحية مصطفى كامل الغمراوى بك أحد سراة بنى سويف فوجه نداء إلى الأغنياء للاكتتاب لهذا المشروع الوطنى الجليل ، وافتتحه بخمسمائة جنيه ، واشترط فيما اشترط ألا تختص الجامعة بجنس أو دين لتكون بالنسبة لجميع المصريين « واسطة للالفة بينهم »

وأبدى الخديو عباس حلمى الثاني ارتياحا لهذه الدعوة النبيلة ، واغتباطا باستجابة المواطنين لها ، وتشجيعا على المضى في هذا السبيل ، فاجتمع بدار سعد زغلول (بك) القاضي بمحكمة الاستئناف العليا يوم ١٢ أكتوبر سنة ١٩٠٢ رجالات القضاء والعلم والسياسة وأصحاب الجاه ، منهم قاسم أمين ، وحفنى ناصف ، ومحمد فريد ، وعلى فهمى ، وعبد العزيز جاويش ، وفي هذا الاجتماع تألفت لجنة تحضيرية انتخب لها سعد زغلول وكيلا ، وقاسم أمين سكرتيرا وتأجل انتخاب الرئيس لجلسة قادمة ، وتقرر تسمية الجامعة باسم « الجامعة المصرية » . وبعد ثلاثة أيام من هـذا الاجتماع قدم مصطفى كامل من أوربا ، فقوبل بما هو أهله من الحفاوة والإكبار ، وكان لقدومه أكبر الأثر في شد أزر اللجنة وتزويدها بنشاطه الفكرى والعملى معا .

كل هذا ، واللورد كرومر يستعلن بمحاربة فكرة الجامعة ولا يستخفى ، بل يعمل جاهدا على احباط كل المساعى التي تبذل

لتحقيق ما أجمعت عليه الأمة عن بكرة أبيها ، ولاسيما في هذا الوقت الذي تدهورت فيه الثقافة المصرية إلى مستوى غير لائق بما له رصيد موفور من الحضارة تليدها وطريفها ، ومرد هذا التدهور إلى الاحتلال بأساليبه ، وفرضه لغته الدخيلة على التعليم الوطني فرضا ، بينما أهل البصر من المصريين يهتفون بضرورة إصلاح الأزهر ، ووجوب ادخال العلوم والأنظمة الحديثة فيه ، ووضع حد لتوزيع الأعمدة على الشيوخ ، وتخصيص كتاب لكل شيخ ، وتخيير المجاور في شيخه وتخصيص كتاب لكل شيخ وتخيير المجاور في شيخه ليستمع اليه ، كما هو الشأن في كل عام أزهري ، مما لا يتمشى مع روح العصر ، ونظم التعليم .

وتحقيقا للسياسة الانجليزية المرسومة ، كترضية مقنعة للمصريين ، صدر الأمر العالي في ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٠٦ بتعيين سعد زغلول وزيراً للمعارف ، فصادف هذا التعيين « مصريا مشهوراً بالكفاءة والدراية والعلم الغزير ، وحب الانصاف والعدل كما يقول مصطفى كامل في مقاله عن سعد المنشور في لواء ذلك اليوم .

وبهذا أصبح سعد رئيساً للجنة الجامعة ، واستجدت المساعي لدى الخديو لاختيار رئيس للجامعة يرضاه الخديو ولا يرفضه كرومر ، وبعد التي واللتيا ، وقع الاختيار على سمو الأمير أحمد فؤاد ، كما تألف مجلس لإدارتها من علية القوم .

على أن جلسات اللجنة — للأسف الشديد — قد أوقفت عن الانعقاد منذ تولى وزارة المعارف سعد زغلول ، بسبب اضطلاعه بشئون وزارته ، وشعر الخديو بأن المستمد البريطاني يعرقل سير مشروع الجامعة بكافة الطرق ، فتقدم أحمد شفيق باشا واسماعيل أباظه باشا لمقابلة سعد ولابلاغه رغبة الخديو بألا يغفل أمر الجامعة ، وبأن يستمر في اشرافه عليها ، فوعد بألا ينساها

وفي ٣٠ نوفمبر اجتمعت اللجنة بدار حسن بيك حجوم بك أحد أعضائها وحضر سعد ليعلن انسحابه من اللجنة لكثرة أعماله التي لا تسمح له بالاشتراك في المشروع .

وشهدت مصر في سنة ١٩٠٨ وعيا وطنيا جديدا يطالب بالدستور ، وأخذ التنافس سبيله إلى الأحزاب على خير وجه مستون ، فلما تولى (الأمير) أحمد فؤاد رياسة الجامعة ، بعث فكرتها من جديد ، تلك الفكرة التي لم تخمد جذوتها على الرغم من الضغن المبيت لها بقصر الدوبارة في الظلام .

وانتهز الأمير فؤاد فرصة زيارة روزفلت رئيس الجمهورية الأمريكية لمصر فأقام له مأدبة عشاء ، ودعاه لإلقاء محاضرة بالجامعة فلبى الدعوة في ١٧ مارس سنة ١٩١٠ ، وتكلم عن أهمية الجامعة في التربية الصحيحة ، وتطرق إلى مسائل تخص المصريين وحدهم دون غيرهم ، فقد استنكر عليهم مطالبتهم بالدستور ، وأثنى على الادارة الانجليزية للسودان وكال المديح للورد كرومر وسياسته في مصر ، مما أثار عليه عاصفة من المعارضة في جميع الصحف حتى ناله من شاعر النيل أعنف اللوم ، إذ قال في قصيدة طويلة من أبياتها :

يا نصير الضعيف مالك تطرى ... خطة القوم بعد ذاك النكير

يا نصير الضعيف حبب إليهم ... هجر مصر تفز بأجر كبير

وعلى الرغم من هذا الخضم الجارف من الأحداث الجسام ، توالت الاكتتابات لجعل فكرة الجامعة في نطاق الحقيقة الوجودية فتبرع الأغنياء لها بأموالهم ، ووقفوا عليها الكثير الطيب من أطيانهم ، وجادت أريحة سمو الأميرة فاطمة هانم اسماعيل بجواهر قيمتها ثمانية عشر ألفا من الجنيهات فضلا عن ستمائة فدان وقفتها على الجامعة ، وستة أفدنة بجوار قصرها بالدقي لإقامة المباني عليها ، وكذلك الأمير يوسف كمال إذ منح المشروع مائة وخمسين فدانا ، وثلثمائة جنيه لإصلاحها . .

وتدفقت المنح والهدايا العلمية من ملك إيطاليا ، وامبراطور المانيا ، وسلطان مراكش ، كما وافقت فرنسا وايطاليا على قبول ثلاثة من صغار الطلبة لتعليمهم بالمجان بمدارسها .

وفي ٣٠ مارس سنة ١٩١٤ وضع الخديو الحجر الأساسي للجامعة في حفل تجلت فيه أروع آيات الوطنية ، والوحدة القومية ، وألقى فيه المطرب زكي عكاشة قصيدة لأمير الشعراء أحمد شوقي بك

وتحدد يوم ٤ مايو سنة ١٩١٤ لامتحان العالمية ، فتقدم الطالب المنتسب (الشيخ) طه حسين للدرجة الدكتوراه ، فنالها بين اعجاب الحاضرين ، وإكبار أعضاء اللجنة المشكلة لامتحانه

من أساتذة الجامعة ورجال وزارة المعارف ، فتقرر إيفاده في بعثة إلى فرنسا ، ومثل قبل سفره بين يدى الخديو بقصر رأس التين فشجعه ، وتمنى له النجاح .

ومما يدعو حقا إلى اعتزاز المصريين بذكرى الجامعة أن الروح القومية قد لازمتها من مهدها إلى رشدها ، فقد عنى مصطفى كامل منذ سنة ١٨٩٩ ببث التربيـة القوميـة في التعليم ووضع دستورها على أسس متينة من تعاليم الإسلام الحنيف ، واللغة العربية وأمجاد ، وعوائد الشرق المجيد .

وفي مارس سنة ١٩٠٧ أجمع أعضاء الجمعية العمومية على مطالبة الحكومة بجعل التعليم في المدارس باللغة العربية ، وإزاء هذا الاجماع الوطني الرائـع ، وقف الاحتلال مكتوف الأيدى ، وباء كرومر وأذنابه بخيبة الأمل ، حتى أسرعت حكومة بلاده إلى سحبه من مصر بعد شهر من ذلك التاريخ .

وقد أقامت له حكومة مصطفى فهمى باشا حفل توديع ، خطب فيه شاكرا لأنصاره ؛ غير أنه استدرك فذكر فيما بينه وبين نفسه سخط الشعب عليه ، فرمى المصريين بنكران الجميل ، وقال فيما قال « إن أولاد المصريين يولدون في العادة مبصرين » ، ولم يكتف بهذا الذم المألوف بل رمى بآخر سهم في جعبته إذ قال : إن الاحتلال البريطاني يدوم إلى ما شاء الله ، وتلك كما يقول أولى « حقائق الحالة المصرية » التى الم بها وجوه من احتفلوا به وودعوه . .

ومن أبرز معالم الروح القومية التى سايرت الجامعة نوع الدراسات التى احتفل بها طلابها منذ نشأتها الأولى ، فقد نوقش طه حسين في موضوعات كلها تمت بصلة وثيقة إلى تراثنا المجيد وهى : علم الجغرافيا عند العرب ، والمقارنة بين الروح الدينى للخوارج في أشعارهم وفي كتب المتكلمين ، وحياة أبى العلاء المعرى .

كما أن هذه الدراسات قد جمعت بين الشرق والغرب كما يبدو من الموضوعات التى حددتها الجامعة لامتحانات سنة ١٩١٤ فقد اشتملت على آداب اللغات العربية والانجليزية والفرنسية ، وتاريخ الأمم الاسلامية ، وعلم تقويم البلدان ووصف الشعوب ، وتاريخ الشرق القديم ، وكان أساتذتها الأوائل من أساطين العلم في فرنسا وانجلترا ، وفطاحل المصريين أمثال اسماعيل بك رأفت (عميـد الآداب) والشيخ محمد الخضرى والشيخ محمد المهدى ومحمود بك فهمى .

وهكذا تحققت للـكنانة رغبتها الصادقة ، بفضل هذا التآزر والتعاضد بين الشعب والحكومة والعرش ، فسارت سفينة الوطن باسم الله مجراها ومرساها ، وشمخ صرح الجامعة ساميا سامقا ، وكتب التاريخ في أنصع صفحاته أمجد والمصريين مجدا تحفه أعز الذكريات التى تفخر بها الأجيال المتصاعدة ، فتمضى قدماً في مرقاة المدنية ، وتعلو إلى أوج الـكمال .

ويحق لهذه الجامعة أن تـكون « أم الجامعات » في هذا الوادى المبارك ، وإنه لوفاء صادق من مصر أن تسميها « جامعة فؤاد الأول » ذلك الملك العظيم الذى نفخ في مصر من روحه الوثابة ، وعزمه الطموح ، فاستخلص لها حقوقها من أشداق الغاصبين ، وحقق استقلالها العلمى أميراً ، واستقلالها السياسى ملـكا .

واليوم إذ تحتفل مصر باليوبيل الذهبى لهذه الجامعة ، نرى لزاما علينا أن نسعد بما حققته في مدى نصف قرن من إنشاء ثلاث جامعات أخرى ، اقترنت أولاها باسم المليك الشاب « فاروق الأول » وعلى يديه قامت « جامعة محمد علي » ثم « جامعة إبراهيم » وأول الغيث قطر ثم ينهمر . .

وكما عاد الزمان ـ وهو كثيرا ضنين ـ فلم يحرم ذوى الفضل ثمار جهادهم في سبيل الوطن ، فيالها من لفتة كريمة إذ يشهـد معالى الدكتور طه حسين بك في هذا اليوبيل عرضا سريعا خالدا وسجلا حافلا بالمكرمات لرجل كان بالأمس (ابن) الجامعة ، واليوم يصبح (أبا الجامعات) ، ويجعل العلم ميسرا للناس كالماء والهواء ، فتحققت له آمال كبار ، وفي ذلك له وحده أولا لذة ومتاع ، وللأمة ثانيا فرحة بذكرى الوحدة القومية ، وللشرق أخيراً رجاء في مطالع الفجر بالحرية والنور .

محمد محمود بتود